الفصل الرابع

خصائص اللغة في أدب الطفل

مخاطبة الصغير تختلف عن مخاطبة الكبير كذلك الكتابة للصغير تختلف إختلافا كبيرا عن الكتابة للكبير.وأهم وجه الإختلاف هو اللغة.

فما اللغة التي يجب أن نستخدمها لنكتب بها للطفل؟

طبعا اللغة التي يستخدمها الكبار لا تصلح لأن العلاقة وثيقة بين الفكر واللغة وإن إختلف الفكر إختلفت اللغة.وتفكير الكبار يختلف عن تفكير الأطفال وبالتالي لغة الكبار تختلف عن لغة الأطفال .فالألفاظ وما تحمله من معان ودلالات بين الكبار تختلف عن لغة الأطفال. حتي وإن كانت الألفاظ نفسها بالنسبه للأطفال .فقد نتحدث إلي الأطفال بألفاظ معينة فيفهم الأطفال معاني غير التي كنا نقصدها من حديثنا .ونتيجة لذلك يحدث سوء فهم ولا نستطيع أن نفهم الطفل.ولا يستطيع هو أن يفهمنا " تكون لمعظم الألفاظ التي يستخدمها دلالات قد تختلف في كثير عن دلالات قد تختلف في كثير عن دلالات نفس الألفاظ بالنسبة للكبار ونحن كثيرا ما نغفل هذه الحقيقة فنستخدم في حديثنا مع الطفل أو فيما نقدمه له من مادة مقروءة كلمات وعبارات نعتقد - طبقا لمفاهيمنا - إنها تحمل إليه معني معينا.والحق أنها قد تقصر عن أداء هذا المعني إلي حد كبير من حيث لا ندري .وقد نتهم الطفل حينذاك بالغباء أو التخلف وما هو بالغبي ولا بالمتخلف"[1]

---

[1]. الطفل يستعد للقراءة – محمد محمود رضوان – (٣٥)

وينبغي ونحن نكتب للطفل معرفة أن الكتابة والكلمات المسطورة عبارة عن رموز ،فالكلمة رمز للمعني وليست المعني نفسه،والربط بين الرمز والمعني في حاجة إلي خبرة طويلة وتلك قد لا تتوافر للطفل،وسماع الكلمة منطوقة يكون له تأثير أكبر من رؤيتها مكتوبة ويكون للكلمة المنطوقة تأثير أشد عن الطفل إذا إرتبطت بتجربة حية،والتجربة تشتمل عند الطفل علي اللون والطعم والرائحة والملمس والكلمة التي تستدعي خبرة حسية عند الطفل تستدعي الكثير من العناصر التي تكون تلك الخبرة وعلي الكاتب أن يكون إتجاهه في الكتابة إتجاها حسيا أي يتخير تلك الكلمات التي يكون لها رصيد من الخبرة عند الطفل بحيث يكون لها صدي وتجاوب لديه "ومعني كلمة من الكلمات ينمو ويتطور عن طريق إرتباط قالبها الصوتي بخبرة من الخبرات التي مرت علي الطفل علي أن تكون من تلك التي تتسم بصفات حية لهذا فإن كلمة (نحلة)ترتبط في الذهن بمنظر ذلك المخلوق الطائر الذي يجمع بين اللونين البني والأصفر،وبصوت طنينه،وربما بشعور الجلد الملسوع وبرائحة الزهر وبطعم العسل ولكل خبرات الإنسان التي تتعلق بالنحل والحلايا والأشجار التي يتخذ النحل من بعضها مكانا يقيم فيه خلاياه والحقائق المختلفة عن أنواع النحل وعاداته وهكذا وعندما تصبح كلمة (نحلة)مرتبطة بهذه الثروة من الخبرات ينمو المعني الكامل للكلمة ويكبر في ذهن المرء ويصبح من السهل إستيعابه دون أن يقتصر علي تجربة واحدة.....ولنفرض مثلا أن الطفل يقرأ قصة عن نحلة ظلت تطارد طفلا إلي أن خرج من الحديقة سالما فلو أمكن للقارئ في أثناء تعريفه القوالب اللغوية للكلمات المطبوعة أن يخلق لنفسه صورة ذهنية يتصور فيها منظر نحلة معينة تطارد طفلا معينا ويسمع طنينها في خياله ويتصور أن يعدو كالولد

خوفا من أن تلسعه النحلة،وينفعل بما في المطاردة من آثاره ثم يشعر بالراحة عقب هروب الولد من النحلة ،وينفعل بما في المطاردة من إثارة ثم يشعر بالراحة عقب هروب الولد من النحلة ويري الواقعة كلها بعين الخيال وقد جرت حوادثها في حديقة معينة وكأنها تقع تحت بصره فعلا،فمثلا هذا الطفل لابد أن يكون فهمه للقصة فهما كاملا ولسوف تستهويه قراءتها إلي درجة كبيرة " [1]

إذن هناك عبء كبير علي الكلمات التي نستخدمها لنخاطب بها الطفل أن علي تلك الكلمات أن تستدعي تلك التجارب والمواقف التي مر بها سابقا وأن تعيد تنظيم وترتيب وتهديف تلك التجارب،ولم أقول تستدعي ،بل تخلق تجارب ومواقف يكون الطفل القارئ المشارك الرئيسي فيها وبذلك يكون الأدب أحد المصادر بل هو المصدر الرئيسي الذي يمد الطفل بمدد من التجارب المتنوعة المتعددة المختلفة والتي من شأنها أن تكسب الطفل قوة وقدرة وثقة علي مواجهة التجارب الجديدة وفهمها والأهم من ذلك القدرة علي التعبير عنها للآخرين وبذلك يكون الطفل قد نجح أو نكون قد ساعدناه علي النجاح في بناء جسور من التفاهم والتواصل بينه وبين من حوله وتلك من أهم الأهداف التي يرجو أن يحققها أدب الطفل.

ولكن ماهي الخصائص الغالبة علي لغة الطفل ؟

فمعرفة الطريقة التي يستخدم الطفل بها اللغة تساعدنا كثيرا في الكتابة،لأننا نريد والطفل يقرأ لا يشعر بالغرابة أو أن يشعر بجفوة بينه وبين النص المقروء ،نريد أن نخلق نوعا من الألفة والإنسجام بينه وبين المقروء ،ولن يكون ذلك كذلك إلا إذا إستخدمنا في الكتابة نفس أسلوبه في طريقة إستخدام اللغة . أنا لا أقول أننا

---

١ . تنمية وعي القراءة عند الأطفال - محمد يوسف محبوب (٢٤٢- ٢٤٣)

نستخدم كلماته وإلا فإننا بدلك ندور في حلقة مفرغة ولكن نستخدم طريقة أسلوبه في إستخدام اللغة.

ويمكن أن نوجز بعض خصائص لغة الطفل فيما يأتي

- **الإهتمام بالمحسوسات:**

هناك علاقة وثيقة بين الفكر واللغة ،بل أن بعض المفكرين يقول أن الفكر واللغة شيء واحد ، نخرج من هذا أن ليس ثمة إختلاف بين اللغة والفكر ، بل هناك تطابق كامل بينهما،ونحن إذا عرفنا كيف يفكر الطفل وخصائص هذا التفكير سنعرف بالتالي كيف يستخدم اللغة وخصائص تلك اللغة ، وقلنا فيما سبق أن تفكير الطفل حسي وكذلك إدراكه وإهتمامه بالمحسوسات كبير أي فيما تدركه حواسه أما المعنويات فهو لم يصل إلي تلك المرحلة بعد لأن المعنويات في حاجة إلي تجريد ،والتجريد في حد ذاته فوق طاقاته العقلية.لدلك نجد لغته مرتبطة بالمحسوسات والأسماء والأشياء التي حوله أما إستخدام بقية الإشتقاقات من فعل وحرف فمرحلة لما يصل إليها بعد وهو أن إستخدام أسماء المعنويات أو سمعها فهمه قاصر علي إدراك معانيها " فالطفل أول مايتعلم يبدأ بما تقع عليه حواسه ،وما يسميه اللغويون (أسماء الدوات)كمقابل (الأسماء المعاني) فهو يتعرف أول مايتعرف علي (بابا)و(ماما)و(لبن)و(رغيف)...الخ ثم علي نحو (أرنب)و(قطة)و(كلب)و(كرسي)و(سرير).....الخ.

أما الأفعال والحروف في لغة الطفل إلا بعد الأسماء المحسوسة وأما أسماء المعنويات مثل(حب)و(حنان)و(فرح)و(نسيان)....الخ فتختلف كثيرا في ظهورها، بما أنها تقتضي خبرات معينة في مواقف تهيء للطفل عملية التعميم

وهذه القدرة لا تتأتي للطفل إلا متأخرة ،ومن أجل هذا نري كلمات مثل (الحرية) و(الشعور)و(الكرامة)لاتعني شيئا للطفل في المرحلة الأولي "[1]

وعقل الطفل يسير سيرا منطقيا مع طبائع الأشياء وكذلك إستخدامه للغة فالأصل في اللغة هي الأسماء والدليل علي ذلك :﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ ...﴾ [سورة البقرة:٣١].

والكاتب لأدب الطفل لا يستطيع أن يستخدم الأسماء فقط أو الكلمات التي تدل علي المحسوسات.ولكن يكون اهتمامه بالمحسوسات والأسماء أكثر من غيرهما.

- **الإنشغال بالذات:**

الالتصاق بالذات وعدم الإبتعاد عنها سمة من سمات تفكير الطفل .كذلك لغته فكل كلامه وأحاديثه عن ذاته.لأنه طوال تلك المرحلة يحاول أن يستكشف ذاته ويعرفها .لذلك نجد كل كلامه وأحاديثه تدور حول ذاته ولا يحرؤ الطفل أن يوسع من دائرة إهتماماته ويتحدث عن غيره أو عن العالم حوله.لأن العالم بالنسبه له يعد شيئا مجهولا لدلك فهو يعتصم بالحديث عن ذاته من أن يتحدث عن هذا المجهول.....واستخدام الطفل للضمائر غريب حقا فهو يستخدم الضمير(أنا)كثيرا حتي إذا أشار في حديثه إلي غيره فهو يقصد ذاته لا ذات غيره وهناك باحث أجري حصرا لكيفية إستخدام الأطفال للضمائر فوجد أن الضميرين اللذين يدلان علي الذات بصفة المفرد وبصفة الجمع هما أكثر ضميرين يدوران علي السنة الأطفال وعمل جدولان بهذا الحصر[2]

---

١ الطفل يستعد للقراءة – محمد محمود رضوان – (٣٠)
٢ الطفل يستعد للقراءة – محمد محمود رضوان –(٣٢)

الضمير	عدد الأطفال	جملة التكرار
أنا --	١٥٩	٦٨٣
أنت	٣١	٨٧
أنتِ	١٢	٢٣
إنتو	٢	٢
هوه	٧٥	١٦٢
هيه	٥٨	١٠٦
همه	٣٥	٥٦
أحنا	٧٤	١٤٠

وهذا الجدول يظهر لنا إهتمامات الطفل.فنحن إذا أردنا أن نجذب إهتمامه أن نهتم نحن أيضا بما يهتم به.

- **البساطة وعدم الدقة:**

لغة الطفل تميل إلي السهولة والبساطة.لأن كل شيء في حياته بسيط مباشر تفكيره بسيط فطري ولغته تتناسب وهذا التفكير وتلك البساطة قد تجنح به إلي عدم الدقة.فقد يستخدم لفظة يقصد بها دلالات متناقضة أو يستخدم لفظة ليدل علي معني غير ما تدل عليه اللفظة أصلا وهذا راجع أن المفاهيم لديه غير واضحة.حتي وإن صادف وكان هناك في ذهنه معني واضح فإنه حينما يريد أن يعبر عنه بوضوح فلا تساعد لغته ولا تسعفه ثروته اللغوية المحدودة جدا وهو ليس لديه من الأدوات العقلية ما يمكنه أن يتحري الدقة فيما يفكر أو فيما يقول.

وهذا يلقي عبء كبير علي الكاتب لأنه يجب أن يتحري البساطة المتناهية في التعبير .ويحاول جاهدا أن يوضح المفاهيم التي يتحدث عنها.لأن تلك المفاهيم ربما تكون المرة الأولي التي يسمع الطفل عنها.وأن يبدأ معه من البديهيات بل مرحلة ماقبل البديهيات.

- **التكرار:**

خصيصة هامة وواضحه عند الطفل وتعليمها يرجع إلي أحد سببين:

- إما إنه يشعر بالسعادة والتمتع بهذا التكرار.
- وإما أن ما لديه من عبارات يعد قليلا جدا.فليس أمامه إلا أن يكرر ويعيد مما لديه.

والتكرار شيء يتفق وطبيعة الطفل.فهو إذا عرف شيئا يبدأ في تكراره بصفة مستمرة لأن في ذلك التكرار إثراء وتدريب لقدرته اللغويه بما يتوافر لديه من كلمات وعبارات بحيث إذا جاء وقت وكثرت الثروة اللغوية لديه يجد القدرة مهيأه لإستيعاب تلك الثروة ويكون لديه القدرة علي إستعمالها الإستعمال الصحيح "وغرام الطفل بتكرار المألوف نزعة طبيعية تتجلي في نواحي سلوكه المختلفة منذ الطفولة الأولي فهو يكرر ما ألفه من حركات أو أصوات ويبدو بطبيعته البيولوجيه تواق إلي إستخدام طاقاته النامية جسمية كانت أو عقلية ولما كان المجال الذي يمكنه أن يستخدم فيه هذه الطاقات محدودا لضيق خبراته .فليس أمامه إلا أن يعيد ما يألفه ويكرره مرة بعد مرة"[1]

---

[1] . المصدر السابق (٣٨)

- **اقترح بوضع معجم الأطفال:**

تلك هي خصائص اللغة عند الطفل،ولكن تبقي هناك مشكلة لمن يكتب للطفل ألا وهي ما العبارات والكلمات التي تناسب الطفل وما هي المدلولات والمعاني لكل كلمة أو عبارة من تلك العبارات التي يستخدمها الطفل ومعرفة لكلمة أو عبارة من هنا أو هناك لا تصلح فهو في حاجة إلي ذخيرة لغوية يستعين بها في الكتابة والتأليف ولابد أن تكون تلك الذخيرة مأخوذة من أفواه الأطفال أنفسهم،ليس هذا فحسب بل المقصود من كل لفظة ينطق بها الطفل وهذا لا يتأتي إلا إذا كان تحت يد المؤلف قاموس يضم الكلمات والتراكيب التي تدور علي السنة الأطفال " ولا ريب أن أحاديث الأطفال هي اللبنة الأولي في بناء معجم الأطفال الذي نترقبه والذي نرجو أن يضم لا الكلمات والتراكيب الأكثر شيوعا عند الأطفال فحسب بل الوصف المفصل لما يقصد إليه الطفل بكل كلمة أو تركيب" [1]

ولكن هناك صعوبتين أمام هذا الإقتراح.

الأولى: السياق:

فالطفل قد يفهم معنى كلمة في سياق ما ، وإذا وضعنا الكلمة نفسها في سياق آخر فهو يجهل معنى الكلمة . فتغيير السياق يجعل الكلمة مبهمة المعنى بالنسبة للطفل .

الثانية: عدم ثبات المفاهيم:

المفاهيم عند الأطفال في تطوير وتغيير بصفة مستمرة . وهذا راجع على النمو العقلي وازدياد محصول الأطفال من الخبرة .

---

١ . المرجع السابق- (٤٥)

والتغلب على الصعوبة الأولى أن لا يذكر معنى الكلمة فقط ، وإنما يذكر المعنى الذي يفهمه الطفل في أغلب السياقات التي يمكن أن تتضح الكلمة فيها ، والتغلب على الصعوبة الثانية أن يوضع لكل مرحلة من مراحل الطفولة معجما خاصا بها فكما هو معروف أن علماء النفس قسموا مراحل الطفولة إلى ثلاثة أقسام أو ثلاثة مراحل :

أ- **المرحلة الأولى** : من المهد حتى ست سنوات .

ب- **المرحلة الثانية** : من ست سنوات إلى ١٢ سنة .

ج- **المرحلة الثالثة** : من ١٢ إلى ١٨ سنة .

فيوضع لكل مرحلة من تلك المراحل الثلاثة معجم خاص بها. وإن كان هذا العمل يعد بالغ الصعوبة ، ولكن المكسب الأدبي والعلمي الذي سنكسبه كثيرا وسيهون علينا هذا الجهد " قلنا أن مفاهيم الأطفال لكثير من الكلمات تختلف عن مفاهيم الكبار للكلمات نفسها . كما أن الطفل قد يعرف معنى كلمة في سياق معين ولكنه يجهل معنى الكلمة نفسها في سياق آخر ، ومن أجل هذا كان من المفضل أن يكتفى في معجم الأطفال بذكر الكلمات مجردة ، وإما أن يذكر المعنى الذي يفهمه الطفل حتى يستأنس به المعلم ، ولما كانت هذه المفاهيم والمعاني في تطوير نتيجة لإزدياد خبرات الأطفال يوما بعد يوم فمن المستحسن أن يكون لكل رحلة من مراحل العمر المميزة معجمها اللغوي فواحد الأطفال في سن دخول المدرسة(٥-٦)سنة وآخر للأطفال من(٧-٩) سنة وهكذا "[١]

---

١ . المرجع السابق - (٩٥)

وإن كان الباحث هنا اكتفي بمرحلتين فقط لأن تلك المرحلتين لهما خصوصية والتأليف لهما في حاجة أن يلم المؤلف بالكلمات والعبارات والمفاهيم التي تتناسب وتلك المرحلتين.

أهمية وضع المعجم:

أهم ما يجب أن يعرفه من يؤلف للأطفال هو : ماذا يحب الطفل؟

فالدي يحرك الطفل هي عاطفته وهو يتحرك بين قطبين أساسين ما يحبه وما يكرهه فهو يتجه بكل قوته نحو ما يحبه ويهرب بكل ما لديه من قوة مما يكرهه بدون إعمال فكره أو إجهاد عقله ، ومن الطفل نفسه سنعرف ما يحبه فإذا كرر شيئا أكثر من مرة وقاله في أوقات متفرقة وكثيرة فإن هذا الشيء لاريب يحبه وسوف يحب أن يكرر علي سمعه .وتأتي أهمية وضع المعجم هنا.وأيضا جمعنا لأحاديث الأطفال وهم يتحدثون فيما بينهم أو يحاطبون من هم أكبر منهم فإذا تم تسجيل او جمع تلك الأحاديث وتفريغها في جداول سنعرف ما يحبه الأطفال "ومن هنا كانت أهمية جمعنا لأحاديث الأطفال لا من حيث أنها نمدنا بما يألفونه ويعرفون من ألفاظ وتراكيب فحسب بل لأن هذه الألفاظ والتراكيب ترتبط إرتباطا وثيقا بما يغرم به الأطفال من الأشياء وألوان النشاط النابعة من خبراتهم المباشرة ومصادر إهتمامهم ولكي نوضح هذه الحقيقة:

أوقات النهار

الأوقات	عدد الأطفال	تكرار الكلمة
الصبح	٤٠	٥٢
الظهر	١١	١٤
العصر	٦	٦
المغرب	٤	٤
العشاء	٢	٢

لاحظ كيف جاء (الصبح)في المقدمة من حيث الشيوع أما العشاء حيث يكون معظم الأطفال في مضاجعهم ففي المؤخرة "[١]

نخرج من هذا أن أهم وأحب الأوقات عند الأطفال هو الصباح.فهم يستيقظون فرحين سعداء بعد أن نالوا قسطا من الراحة.وأيضا سعداء بالنور والشمس وكل مظاهر الصبح.فهي فترة مليئة بكل ألوان النشاط والمتع البريئة للأطفال وبذلك يعرف المؤلف هذا الأمر ويجعل الصباح هي الفترة الأساسية التي تدور فيها أحداث أي عمل من الأعمال الأدبية التي يكتبها للأطفال.

ومن أكثر المتع التي يستمتع بها الأطفال هو الطعام والطعام شيء ضروري بالنسبة للمرحلة التي يمرون بها.ولابد للأطفال أن يعرفوا الكثير من الحقائق عن الطعام وأهميته لنموهم.ولكن ما هي أهم أوقات الطعام أو ما هي أهم الوجبات عند الأطفال ثم تفريغ أحاديث الأطفال عن الطعام في جدول وكانت النتيجة أن أهم الوجبات هي وجبة الغداء.

---

١ المرجع السابق – (٤٦)

الوجبة	عدد الأطفال	تكرار الكلمة
فطور	٢	٢
غداء	٦	٨
عشاء	٣	٣

(الطفل يستعد للقراءة ص٤٧)

obeikandl.com